

## أيها الحضور الكريم

ما زلنا ونحن في لبنان نسمع كل يوم عن لبناني فذّ يجترح معجزة التفوق والوصول المذهل، إلى أسمى المراتب، منطلقاً من اللا شيء معتمداً على عمله الدؤوب وإمكانياته الذاتية.

بيوت لبنان ومؤسساتها الأكاديمية والبحثية ثرية بالحكايات الشيقة عن أولئك الكبار الذين لم يكن المال هاجسهم ولا جمعه مهمهم، أولئك الذين أولعوا بالعلم والفكر أسلوباً متميزاً للوصول وتحقيق الغايات. وما تكريم العميد عبد الرؤوف سنّو مع كوكبة من رفاقه إلا فصل من تلك الحكاية الطويلة.

تكونت التجربة المعرفية للعميد سنّو على غرار جيله من الباحثين والمؤرخين اللبنانيين في خضم مسارين: التحصيل العلمي غير المحدود ومسار الاستفادة من معطيات تجربة حاضرهم المتأزم منذ مطلع السبعينيات من القرن المنصرم حتى اليوم.

وإذ سلك كل منهم طريقاً خاصاً به، برز العميد سنّو في حقل البحث التاريخي، ولم يكن في هذا المضمار رقماً بل كان إسماعاً علمياً ومرجعاً وقُدوة ومرآة من مرايا ثقافتنا المنفتحة المتجددة في زمن الندرة من هذا الصنف.

تنوعت إهتمامات الدكتور عبد الرؤوف سنّو البحثية فغطت حقبة طويلة وعالجت العديد والمتنوع من المواضيع التي راوحت بين التاريخ السياسي والديني والاجتماعي والاقتصادي.

أصدر العميد سنّو مجموعة كبيرة من الكتب التاريخية، فكانت رائدة في التأريخ لعدد من الأحداث المهمة وباتت مرجعاً علمياً يصعب تجاهله أو تجاوزه.

العميد سنّو متخصص في الأساس في العلاقات بين ألمانيا والدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر. وقد وضع كتباً ودراسات قيمة في هذا المجال أهمها المصالح الألمانية في سورية وفلسطين 1841 - 1901 باللغتين الألمانية والعربية. وألمانيا والإسلام خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

شكل العام 2000 انعطافة في مسيرة سنّو البحثية، حيث ركز على دراسة تاريخ لبنان الحديث والمعاصر. فنشر في ذلك العام كتاباً بالألمانية بعنوان "لبنان اليوم" أسهم فيه بدراستين قيمتين:

الأولى عن مسببات حرب لبنان والأوضاع السياسية والعوامل الخارجية المؤثرة فيه. والثانية عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.

وقد مكنته هذه البداية من الغوص أكثر في تاريخ لبنان المعاصر، فوضع في العام 2003 دراسة شاملة للتعايش الطوائفي فيه في مرحلة ما قبل حرب لبنان وخلالها وبعدها. وبعد خمس سنوات توج

أبحاثه عن لبنان بمؤلفه الذي اشتهر والمعروف بعنوان "حرب لبنان: تفكك الدولة وتصدع المجتمع"، مجلدان 1808 صفحة.

رغم ذلك، بقي العميد سنو على تواصل مع التاريخ الألماني في المنطقة؛ فوضع في العام 2007 كتابه الأنف الذكر "ألمانيا والإسلام". وعقب قيامه برحلة رسمية إلى ألمانيا لمراقبة انتخاباتها البرلمانية في العام 2009، نشر دراستين طويلتين بالعربية والألمانية، تناول في الأولى الانتخابات الألمانية، وقرن في الثانية بين الانتخابات الألمانية المذكورة وانتخابات لبنان التي جرت في العام نفسه. وصدرت له مؤخراً دراسة وثائقية عن عقبات التجارة الألمانية في المتوسط في العصر الحديث.

إلى ذلك نشر العميد سنو عشرات المقالات والدراسات التي تتعلق بتاريخ الدولة العثمانية وعلاقتها بكل من روسيا وبريطانيا، وحول حركة الإصلاح في السلطنة وأسباب نمو الاتجاهات الإسلامية فيها خلال عصر السلطان عبد الحميد الثاني، وركز بشكل خاص على حركة الجامعة الإسلامية. وفي العام 2011 صدرت له دراسة مميزة حول "صدى الدستور العثماني لعام 1908 في صحافة بيروت". كما تناول في بحثين باللغة الإنكليزية "تأثير دول الإستعمار الأوروبي في المشرقين العربي والمغربي حتى القرنين التاسع عشر والعشرين"، و"دور البحث العلمي في تعزيز الديمقراطية والتربية في الشرق الأوسط".

ولما كان البلقان يخضع للحكم العثماني وبعده لمنظومة التوازنات الدولية، خصّ العميد سنو قضية كوسوفا بدراسة مطولة من ثلاث حلقات وأوضاعها تحت الحكم اليوغسلافي الشيوعي. وكان قد أصدر في العام 1998 كتابه "النزعات الكيانية في الدولة العثمانية 1877-1881"، شرح فيه الموقف الإسلامي الثابت والمتحول تجاه الدولة العثمانية بصفتها دولة إسلامية ومظلة تحمي البلدان الإسلامية من هجوم الإستعمار. كما قدم أبحاثاً معمقة في تاريخ الحركة العربية خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، وتناول الصراع العربي - الإسرائيلي بأكثر من دراسة وبحث.

ومنذ مطلع القرن الجاري، عكف العميد سنو على دراسة قضايا عربية معاصرة كالإرهاب وأسبابه وكيفية محاربتة، والحرب الإسرائيلية على لبنان في العام 2006 وتداعياتها، وسياسة كل من سورية وإيران في منطقة الشرق الأوسط. وبين العامين 2000 و2010، نشر العديد من الدراسات حول العلاقات السعودية - اللبنانية كان آخرها في نيسان العام 2011 بتمويل من برنامج الأمم المتحدة للتنمية.

وأخيراً وليس آخراً، أصدر العميد سنو دراستين قيمتين الأولى بالإنكليزية والألمانية عن "الفتوح الإسلامية والتسامح الديني"، حيث انتقد فيها عدم استخدام المسلمين سلطة العقل ومعايير علمية لنقد تجاربهم التاريخية. وفي الدراسة الثانية والتي اتسمت بجرائتها وكثرة التعليق عليها، تطرق سنو إلى أوضاع المسيحيين في المشرق العربي، جاعلاً من الربيع العربي حداً فاصلاً بين مرحلتين، مرحلة تهيش المسيحيين في البلدان العربية عبر الأنظمة المعاصرة والمجتمعات الإسلامية، ومرحلة تخويفهم من وصول الإسلاميين المتشددين إلى السلطة. وحمل العميد سنو الأنظمة العربية مسؤولية ما آلت إليه أوضاع المسيحيين في المشرق العربي، مطالباً بالحفاظ عليهم كمعطى وطني وحضاري واقتصادي، وأن ذلك لا يكون إلا بإقامة الدولة الديمقراطية المدنية

وتقديرًا لمسيرة العميد سنّو البحثية الطويلة والقيمة، عُين في العام 2008 عضواً في الهيئة الإستشارية للمعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت. ونال في العام 2009 وسام الإستحقاق الألماني من رئيس جمهورية ألمانيا الإتحادية. وفي العام 2011، فاز بجائزة الشيخ زايد للكتاب عن كتابه "حرب لبنان"، وحصل على درع وزارة التربية والتعليم العالي تقديرًا لسنوات طويلة من حياته البحثية، فضلاً عن تنويهات ودروع تقديرية من جهات أكاديمية وبالطبع ما زلنا نأمل بالمزيد من ذلك.

برأي، إن سلم الإرتقاء الذي بلغه العميد سنّو في البحث التاريخي وما يزال، يعود إلى تمتعه بصفات يطيب لي أن اثني عليها وهي الإستقلالية في التفكير، والشجاعة في الإعراب عما يؤمن به، وهي شجاعة تبلغ به حد التعبير بوضوح عما يخالجه نفسه من آراء.

لقد أرّخ العميد سنّو عن لبنان، ولم يغرق في مراحلهِ ومناهاتهِ، وجاء به حقيقياً كما هو من غير زيادة أو نقصان. كما أدهشني مواظبته على البحث والعمل، فلا اكتفاء بما ظهر ولا رضى كاملاً – الكمال غير موجود في نظره.

إن أهم سمة من سمات التكريم للعميد سنّو، هي سمة كبار رجال العلم للعلم ورجاله.

وشكراً

د. علي شعيب